الإيڤانجليكيون.. والطريق الوسط

يقع الإيڤانجليكيون - وهم ثالث شعبة رائدة فى البروتستانتية الأمريكية - بين الأصوليين والليبراليين، ويشترك جوهر معتقداتهم مع الجذور العامة للأصولية، لكن تأثرت أفكارهم عن العالم - كثيراً - بقيم التفاؤل المستوطنة داخل المجتمع الأمريكى. وبرغم وجود اختلافات لاهوتية داخل هذه الجماعة، إلا أنها قد تشكلت بصفة عامة بـ «الكالڤينية الناعمة» للاهوتى الهولندى «چاكوب أرمينيوس» فى القرن السادس عشر، وتأثرت كذلك بأفكار الإيڤانجليكيين الإنجليز مثل «چون ويزلى» (الذى حمل تراث حركة التقوى الألمانية)، وفى الولايات المتحدة تأثرت بتجربة حركة الصحوة الكبرى، وما تلتها من حركات إحياء دينى متعاقبة فى القرن الثامن عشر.

وتعد طائفة «مؤتمر المعمدانيين الجنوبيين» هى الطائفة الرائدة فى الولايات المتحدة، وهى أكبر طائفة أيضًا بأعضائها البالغين ١٦,٣ مليون عضو. أما الطائفة الإيڤانجليكية التى تليها فى الحجم فهى «الكنائس الإفريقية الأمريكية» بما فيها «مؤتمر المعمدانية القومية فى الولايات المتحدة، ويليه مؤتمر المعمدانية فى أمريكا» التى تفيد التقارير أن كلاً منهما يضم قرابة ٥ ملايين عضو. وتعد كنيسة «الرب فى المسيح الأمريكية الإفريقية» بأعضائها البالغين ٥,٥ ملايين عضو، أكبر طائفة خمسينية فى

البلاد، ثم «جمعيات الرب» سريعة النمو التى يبلغ أعضاؤها ٢,٧ مليون عضو، وهى أكبر طائفة خمسينية بدون غالبية سوداء. أما الكنيسة اللوثرية فى سنودس ميسورى والبالغ أعضاؤها ٢,٥ مليون عضو، فهى ثانى أكبر طائفة إيڤانجليكية ذات سيادة بيضاء. ومثل الأصوليين، فإن الإيڤانجليكيين البيض يتواجدون غالبًا فى التجمعات المستقلة والطوائف الصغيرة. أما ما تسمى «منظمات شبه الكنائس» مثل «الحرم الصليبى للمسيح» و«المحافظون على العهد» و«مترجمو ويكليف للكتاب المقدس» فهم عادة ما يحلون محل أو يكملون أبنية الطوائف التقليدية بين الإيڤانجليكيين.

يتشابه الإيڤانجليكيون مع الأصوليين فى كثير من النواحى، فالإيڤانجليكيون مثل الأصوليين يولون أهمية كبيرة للعقائد فى المسيحية وليس فقط للتعاليم الأخلاقية. ويرى الإيڤانجليكيون والأصوليون أن تأكيد الليبراليين على ترجمة الأخلاقيات إلى معتقد [بدلا من المعتقدات اللاهوتية]، وأن العمل الطيب والوفاء بالقانون الأخلاقى هما الطريق إلى الله، يعد خيانة لرسالة المسيح. ويؤكدون على أن الإنسانية عاجزة تمامًا عن الوفاء بأى قوانين أخلاقية بسبب الخطيئة الأصلية، وأن الاعتقاد بأن الرسالة الأساسية للمسيحية هى سعى الإنسان لإسعاد الرب باتباع الأخلاقيات السامية . . هو محتوم الفشل؛ فالذى يخلص الإنسان فقط هو صلب المسيح ثم قيامته. إن ما يعنيه الأصوليون الإيڤانجليكيون بعبارة «يولد من جديد» هو القبول بطبيعة الإنسان الخاطئة، وقبول تضحية المسيح. وعندما يضع المسيحيون الليبراليون قضية الأخلاق فى مكان

القلب من لاهوتهم، يتساءل الأصوليون والإيڤانجليكيون إن كان هؤلاء الليبراليون يدركون المعنى الحقيقى للمسيحية.

يولى الإيڤانجليكيون أهمية كبيرة للفرق بين من «خُلِّصوا من الخطيئة.. ومن لم يُخَلَّصوا». وهم يعتقدون، مثل الأصوليين، أن من يموتون دون الاعتراف بالمسيح المخلص، كُتب عليهم الانفصال الأبدى عن الرب. وأن البشر الذين لم يُخلَّصوا من الخطيئة لا يمكنهم القيام بأى عمل طيب من تلقاء أنفسهم.

أخيرًا فإن معظم الإيڤانجليكيين (وليسوا جميعًا) يتفقون مع الأصوليين فى رؤيتهم لنهاية العالم. بينما يعتقدون جميعًا أن نبوءات الكتاب المقدس سوف تتحقق، ويتفق السواد الأعظم منهم مع الأصوليين على المرحلة المسماة «قبل الألفية»: أى الاعتقاد بأن المجىء الثانى للمسيح سوف يسبق الألفية ـ المتنبأ بها ـ من عصر السلام. وعلى ذلك فإن كل جهود البشر لبناء عالم قائم على السلام، ستفشل.

بعد عرض أوجه الشبه السابقة، لم يعد مستغربًا أن يخلط كثير من المراقبين بين الإيڤانجليكيين والأصوليين، ظنًا منهم أن الأوائل صورة مخففة من الأواخر. إلا أن هناك اختلافات مهمة بين الأصوليين والإيڤانجليكيين فى رؤية العالم. وبرغم أن موقف اللاهوت من هذه القضايا تقنى جدًا وبفوارق لا تكاد تذكر، إلا أن الإيڤانجليكيين يميلون إلى المضى تحت تأثير شكل مبهج من الكالڤينية. وبينما الموقف المتشدد هو أن تضحية المسيح فوق الصليب تمت من أجل خلاص عدد قليل من الأرواح التى عزم الرب على إنقاذها، ولا أمل للآخرين فى الخلاص.

نفسيّا وعقائديّا، لدى الإيڤانجليكيين الأمريكيين ـ بشكل عام ـ رؤية أقل قتامة من الأصوليين، فهم يعتقدون أن «الخلاص» متاح لكل الناس، وأن الرب يمنح كل إنسان ما يكفيه من نعم إلهية تمكنه من اختيار الخلاص إذا أراد. تقسم عقيدة الكالڤينيين الصارمة البشرية إلى معسكرين يجمع بينهما القليل. وفى رأى الإيڤانجليكية السائدة أن الرب يحب كل الأرواح، ويحزن إن ضلت إحداها وأنه يسعى لإنقاذ كل الأرواح.

يعلن كل المسيحيين، أصوليين أو ليبراليين أو إيڤانجليكيين ـ على الأقل رسميّا ـ مسئولية إظهار مشاعر الحب والرحمة تجاه كل إنسان مسيحيّا كان أو غير مسيحى. وهذا الأمر له أهمية خاصة عند الإيڤانجليكيين الذين يؤمنون بأنه يمكن إنقاذ البلايين من الأرواح الهالكة.. من أجل المسيح. والدليل على ذلك ما يقدمونه كل يوم من مساعدة للمحتاجين، وفعالية اتباعهم للأناجيل، وبذلك يمكن إعادة الأرواح الضالة إلى المسيح مرة أخرى والمساعدة على تنفيذ الخطة الإلهية. وبذلك يعزز الإيڤانجليكيون رسالة المسئولية المسيحية إلى العالم. ونتيجة لذلك، فعادة ما ينفتح الإيڤانجليكيون على العمل مع غير المؤمنين، بل ويتطلعون إلى ذلك العمل الاجتماعى فى مشروعات تهدف إلى رخاء البشرية، حتى وإن ظلوا على اعتقادهم بأن الذين يرفضون المسيح لا يمكن اتحادهم بالرب بعد الموت.

من الصعب التنبؤ بما سيفعله الإيڤانجليكيون. أظهرت استطلاعات الرأى الأخيرة أن أغلبية معتبرة من الأمريكيين يرفضون نظرية «النشوء والارتقاء» لـ (داروين). شحذ الصحفيون والمثقفون داخل الولايات

المتحدة وخارجها قواهم لشن هجوم ضار على العلوم الداروينية، وإن كان غير وشيك، فلطالما رفض الرأى العام الأمريكى الداروينية. ومع ذلك، وحتى فى ولايات مثل ألاباما وميسيسيبى وكارولينا الجنوبية، والتى تضم تعداداً كبيراً ونشطًا من السكان المسيحيين، فإن جامعاتها ماضية فى تدريس علم الفلك وعلم الوراثة وعلم طبقات الأرض وعلم الحفريات دون اهتمام بعلم الكونيات الدينى، مع استمرار الولايات المتحدة فى دعم أكثر الجماعات العلمية نجاحًا فى العالم. لا يشعر معظم الإيڤانجليكيين بغرابة ذلك التناقض، ولا يرغبون فى تغييره، عكس الأصوليين، فالنفعية فى ثقافة الولايات المتحدة تتحد مع ما يمكن اعتباره التوجه الدينى الإيڤانجليكى المضاد للثقافة؛ لخلق نوع من التسامح واسع الانتشار مع مستوى من التنافر المعرفى الذى قد لا يتسامح معه البعض. وفى القرن السابع عشر، عارضت هارڤارد البيوريتانية كوپرنيكس(*). أما اليوم فإن أمريكا الإيڤانجليكية راضية تمامًا عن أن يبقى التناقض بين تاريخ الكتاب المقدس.. وسجل الحفريات، بدون حل!! وما لا يقبله الإيڤانجليكيون ما يسميه البعض مذهب «العلمية»؛ أى محاولة فرض تعليم «النشوء والارتقاء» أو أى موضوع آخر.. بطريقة تلغى إمكانية وجود الله وفعّاليته.

يتفاءل الإيڤانجليكيون ـ أكثر من الأصوليين ـ بالتقدم الأخلاقى. إن أقلية «ما بعد الألفية» (التى تعتقد أن المسيح سيعود مرة أخرى بعد ألف سنة من السلام العالمى وليس قبل ذلك) تؤمن بأن هذه العملية

(*) فى قوله أن الأرض تدور حول الشمس ـ المترجم.

الإصلاحية يمكن أن تستمر حتى يصل المجتمع الإنسانى إلى درجة من القداسة، مؤداها: أن التقدم الدينى للأفراد والمجتمعات يمكن أن يبلغ ذروته بإنشاء مملكة السلام، بعد عملية الإصلاح التدريجى. إذن هذه رؤية تاريخية تنسجم مع تفاؤلية المسيحيين الليبراليين. وقد عمل كل من الإيڤانجليكيين والمسيحيين الليبراليين معًا فى كثير من المساعى من أجل التقدم الأخلاقى داخل الوطن وخارجه عبر فترات مختلفة من التاريخ الأمريكى. وبرغم أن أكثرية «ما قبل الألفية»(*) تشعر بقليل من التفاؤل تجاه النجاح المطلق لهذه المساعى، فإن الإيڤانجليكيين الأمريكيين يتمسكون بتفاؤلهم تجاه التحسن الإنسانى.

فى كتابه الذى صدر عام ٢٠٠٥م تحت عنوان «تخيل!! أمريكا المباركة.. كيف يمكن حدوث ذلك؟ وما يجب أن تكون عليه؟» يصف الإيڤانجليكى المحافظ ريتشارد لاند، ويبرر هذا التفاؤل الإيڤانجليكى بقوله:

«أعتقد أنه يمكن حدوث صحوة أخرى كبرى فى بلادنا.. أى بعث للأمة كلها. فالكتاب المقدس يقول لنا.. لا أحد لا يعرف يقينًا فى أى يوم أو فى أى ساعة يعود المسيح. وبالتالى لا يجب أن نتخلى عن العالم ونتركه فى شقائه. كما لا يوجد موضع فى الكتاب المقدس يطلب منا أن نحتشد متشائمين فى جيتو مسيحى.. محاولين اختطاف المتحولين [للمسيحية] من العالم.»

* * *

(*) «ما قبل الألفية» هى عقيدة المجىء الثانى للمسيح قبل الألفية السعيدة، بل ذلك المجىء هو الشرط والبشارة ببدء تلك الألفية ـ المترجم.